سيد بهي

لماذا لا تسمعيني

ملتقى المعرفة

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 978-977-6682-24-5
رقم الإيداع القانوني: 2019/25450

ملتقى المعرفة

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر. يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني وتصميم الغلاف: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

القاهرة / مصر
جوال: 00201278821670
00201003528058

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

«ما القولُ فيه؟ ما القولُ في الضميرِ القاسي،
ذلك الشبحُ في طريقي؟ »

وليام تشمبرلين

مقدمة

أرسلت لي دار النشر ديوان شعر (لماذا لا تسمعيني) ولم أستطع إلقائه جانباً كما أفعل مع الكثير من الكتب وغلبني الفضول ثم طافت برأسي آلاف الأسئلة، هل تستطيع الكلمات فعلا أن تسحب القارئ إلى عالم الشاعر ليكتشف الحروف ويترجمها إلى قضايا وهموم هائلة ومفجعة الحب- الوطن - والدين؟

تركت نفسي لأسبح في النص وكلما أبحرت في هذه القوة اللغوية ومعاركها ازداد يقيني أن اكتشاف الجمال في عالم القبح مازال ممكناً.

كل الأمنيات للشاعر القدير.

عبير السيد

فلورنس - إيطاليا

إهداء إلى

Carmela Russo
Presidente
Accademia degli Artisti
Naples,Italy

السيدةُ التي جعلتني أَسيرُ مَزْهُوَّاً في شارِعِ الشِعْرِ

غزل قدیم

غزلٌ قديم

يا مَليئاً بالخُلْفِ والمَطْلِ والوعَدِ
دَسَسْتَ لي طَيْفَكَ في الكَرَى
حتى سَلَّ روحي
من لوعةِ البُعدِ
وتركتَ جِسمي
بعد أَخْذَكَ مُهْجَتي
فكان لي جَسَدٌ لا رَوحُ فيهِ
وعندكَ روحي بلا جَسَدِ
فالجِسمُ في بَلَدٍ
والروحُ في بَلَدِ
قلبي وعيني في دمى اشْتَرَكا
فصرتُ مقتولاً بلا لَحدِ
هلا ذَكَرْتَ زماناً فيه رقْصَتُنا
على حافةِ الأشواقِ والوَجْدِ

نَتَساقى الهوى صِرْفَاً

من فِيهِ إلى أُذُنٍ

بلا وَجَلٍ ولا قَيْدِ

والشَعْرُ مُنْسَدِلٌ طَليقٌ

يُحاكي ثَنْيَةَ الجَسدِ

فالخَدُّ في الخَدِّ

واليَدُّ في اليَدِّ

وأُخرى على القَدِّ

ماكُنْتَ إلا روضةً غَنَّاءَ ساحرةً

كجَنَّةٍ عذراءِ

في رُبَى الخُلدِ

وأَظَلَّنا يومٌ فريدٌ

ليس من هذا الزمانِ البخيلِ

بل عَهْدٌ من الرَغَدِ

حتى جرى طائري نَحِساً

وطائرُك المَيمونُ بالسَّعْدِ

ما زِلْتَ تَهْجُرني

حتى مَرَنْتَ على الفُراقِ

فلا تَقْتُلْني ضَياعاً

بالهِجْرانِ والصَّدِّ

فمن أين ما اسْتَعْطَفْتُكَ

يا سَقيمَ الجَفْنِ

لم تَرِقُّ لي

ومن أين ما جَرْبتُ صبري

أَلفَيْتُهُ مُرَّاً بلا حَدِ

فصرتُ في الهوى عَجَباً

حريقاً بلا نارٍ

ودمعاً بلا سُهْدِ

وَضَعْتَ سِياطَ الشوقِ في عُنُقي

وقتلتَ عائِذاً بحِماكَ

من تَرَفٍ وعن عَمْدِ

إليكَ المُنْتهى في الحُسنِ

وأملُ المُلتقى

حُلُمٌ إلى الأَبدِ»

كبرياء

سَأَلْتُها بِرِفقٍ

أَيُتَوضَّأُ من العِشقِ

قالت نعمْ

والتزم كلانا الصَّمْتَ

صَمْتاً يُصيبُ بالصَّمَمْ

عاشقانِ يَهتَجِرَانِ

وقال الكبرياءُ كَلِمَتَهُ

أنتِ جميلةٌ مُدَلّلَةٌ

وأنا عاشقٌ ذو شَمَمْ

كان عليكِ أن تنْكَسِري أو أنْهَدِمْ

كلُ ما حَلِمتُ به امرأةً

من لحمٍ ودمْ

فكانت معي وردةً

من نارٍ وحُمَمْ

تَوَهَجَتْ كالشمسِ في جسدي

ثم غابتْ

فانْسحبَ الضِياءُ وعَمَّتِ الظُّلَمْ

فلا تَرْكن إلى وردةِ الأَلَمْ

ولا تكن ذليلاً بين يَدَىْ عِطرٍ

فلن تبقَ سوى رائِحَةُ النَّدمْ

وما عُدتُ أَعْرِفُ كم نهاراً وليلةً

عليَّ أن اقْطَعَهم كي أتوبُ

فما أعذبَ الإثمَ

وأنتِ داعيةُ الذُّنوبِ

تَلِفْتُ اِشتِياقاً إليها

وقد كنتُ أحَسَبُ أنّى قد ملأتُ يدي

فكان هوايا هاويتي

وكانت جَنَّتِي فخَرَجْتُ منها

خيولُ الذُّنُوبِ

ما كُنتُ في مَوضِعِ عِشقٍ
وما كان مذهبي لهوَ النِّساءِ
حتى لفَحَتْني لوافِحُها
سيدةُ التِّيهِ والوَلَهِ
والجنونِ الحُلوِ والإغراءِ
ذَهَبَت بيَ كل مَذْهَبٍ
في شِعابِ الرَّغْبَةِ والإغواءِ
كانت تتوهجُ فِتْنَة
كالخبزِ الساخنِ عن بُعْد
وعداً بالتُّخْمَة
ومواسمِ لم تُخْلَق بَعْد
كانت كقيودِ التَّحْريمِ
تُثيرُ الشهوة
تَقْتَحمُ حواسي مُحْدِثَةً جَلَبَة
في عينيها نيرانٌ

لهبٌ ضاري

يفضحُ كلَ زواياىَ المَنْسِيَّة

يفُك لفائفَ رغباتي

ويحررُ في صدري

أَشَياءَ بدائيَّة

كانت لا تخلو من عشقٍ ونِداءِ

ما خَطَرَتْ إلا ونَظَرْتُ إليها

بعينِ خِيانةِ نَظْرةَ جَوعان

وانْطَلَقَتْ نحوي خُيولُ ذُنوبٍ

راكضةً تَمْرَحُ في الأرجاءِ

وما خَمَشَتْ أُذنايَ بصوتٍ إلا

ونَبَشَتْ عندي لذَّاتٍ دُفِنَتْ

في نبضِ عروقي الجَرْدَاءِ

وما طَرَقَتْ أجوائي بعطرٍ إلا

وغَرِقْتُ بعيداً في عَبَقِ غِوايتِها

المُحْتَرِقِ بقسوةٍ في الأنحاءِ

وما مَرَّتْ تَيَّاهةَ إلا

وصَرَخَتْ معها موسيقى الصَّدْرِ

ورَقَصاتُ الخَصْرِ

وباقي الأعضاءِ

وما طافتْ بخيالي إلا

وسَمِعتُ ضَجيجَ مَسِيرَتِها

كالفَرَسةِ في أَوْرِدَتي،

المَشْحونةِ بالرَّغَباتِ الهوجاءِ

عَشِقتُ فجُنَّ عِشقي

وصِرْتُ طَروباً مُخْتَبَلاً

بِمَهَبِّ أُنوثتِها

كريشةٍ في الهواءِ

وتمنَّيتُ حُلماً عصيَّاً

نَبْتَةَ الحياةِ الأبديَّةِ

لعودةِ الشيخِ فَتيَّاً

في دنيا الأحياءِ

فإذا نَفْسُها نفسي

وإذا الشوقُ آفتي وسِرُّ الدَّاءِ

وإذا ناري ونارُها مِزَاجانِ

من زَلَّةِ آدمِ

وغُوايةِ حواءِ

كان حُلْماً سَخيَّاً

حتى خَصَفْنا سَويَّاً

شيئاً من أوراقِ الجنَّةِ

من فَرْطِ حَياء

حَجَرُ الكَلِمة

جَليلَةٌ هي كلماتُ العاشقين
تُضئُ رَوْحَ العُشْبِ
قُلْ بعضها
أشْفَعُ لكَ بها
واذْكُر الحُبَ بخَيْرٍ
لِمَ تَتَحَمَّلُ وَحْدَكَ
حَجرَ الكلمةِ على صَدْرِكَ
في الرَّمْضاءِ
وتَحْلُمُ أن تَسْكُنَ ضاحيةَ امرأةٍ أُخْرى
مُشْتَهياً كأسَ الحُبِ الطَّازَجِ
كي يُطْفئُ في الليلِ
أشواقَ العشقِ الماجنةِ
وتَخْرُجُ من جَسَدِكَ
مُبَلَّلاً بالنِّساءِ

وأنت ما زلت تشتكي
منذ عَتَباتِ الليلةِ الأولى
من الجلوسِ الطويلِ
تحت سَقْفٍ مُسْتَعارٍ
لاتدخلهُ الشمسُ
وأُنْثاكَ المُشْتهاةُ فوق السَقْفِ
تلهو بالسماءِ
وأنت تَجوسُ في بقايا الدُّكْنَةِ
تُقايضُ النِّساءَ بالأوهامِ
حافياً تَتَسَلْقُ النَّوافذَ العاريةَ
لتُراقبَ سيدةً تَلْبَسُ ثَوبَ الغرامِ
وتمْنَحُ يديكَ جُرْأَةَ العَبَثِ
كي تَحْلبَ ثَدْيَ الغَريباتِ
في الخَفاءِ
مذهولٌ تُحصى فاكهةَ الأُنْثى
ربما كانت القصيدةُ أُنْثى
أربعون عاماً في التِّيهِ
ثمناً لتحريفِ الكلمةِ
ولاتزالُ الكلماتُ تُهاجرُ
في ذاتِ الأنْحاءِ

وليس لديكَ في آخرِ الليلِ

إلا آنيةً فارغةً تَفُضُّها

والبحرُ يُفْرِزُ مِلحاً جديداً

كلَ مساءِ

وتهرولُ الكلماتُ نحو الرَمَقِ الأخيرِ

وأرصفةُ المقاهي لم تَعُد

تُفسِحُ مكاناً للعاشقين

وأَحْشائُكَ ظلت تَئِنُ من الكبرياءِ

قُل الكلمةَ بِأوْزارِها

أنت قُلْتَها مرةً لامرأةٍ عابرةٍ

على استحياءِ

تستحقها أو لا تستحقها

لم تَعُد تَذْكُرُ آخرَ الأخطاءِ

قُلْهَا مرةً لها

حَرِّر ذُكورَةَ الكَلِمَةِ وأُنوثَتَها

من جنونِ الكِبْرِ المخدوعِ

في جلسةٍ بين رَجُلٍ وامرأةٍ

يتلهفانِ لحظةَ النَّقاءِ

ذَوَيْ غرام

كُنَّا ذَوَيْ غرامٍ

طائِرَين من بَرَاءَةٍ

نقْتَسمُ الرِضا

وفاكهةَ الهوى

في جنَّةِ الأَطْيَارِ

يُحِبُها لحمي ودمي

وليس عندي على جَمْرِ الصَّبابةِ

من وَقارِ

لَعِبَ النَّعيمُ بها فأَضَلَّها

كفراشةٍ رَعنَاءِ في إعصارِ

كنتُ في العِشقِ خُلْواً

حتى رماني

طَرْفُها الصَّائدُ السَحَّارُ

أما فؤادي فشئٌ قد ذَهَبَتْ بهِ

في لياليـنا القِصارِ

أَمْسَكْتُ قلبي على لوعتي

مُحتَرِقاً عليها بغيرِ نارِ

وقد فَنَى مِنِّى جَنَاني

وَحَدُ الإِصْطِبارِ

جَعَلْتُ أَنْفىَ في صَدْرِها

كَلائِذٍ بالبيتِ

عائذٍ بالحَجَرِ وبالأَسْتَارِ

جرى دمعُهُ سَخِيناً

غزيراً في اِنْحِدارِ

من أين صَبَّكِ اللهُ عليَّ

هما موتان

موتُ هَوًى

وموتُ هَجْرٍ وانْتظارِ

خُرافَة

هناك دائماً
في كلِ خُرافَةٍ قديمةٍ
جَبَلٌ وتِنِّينٌ وحَلْقَةُ نارِ
وهناك أيضاً
في كلِ قصةِ حُبٍ
تَرَبُّصٌ وتَرَصُّدٌ وطولُ انتظارِ
سوف يأتيكِ يوماً
رجلٌ مَائِجٌ كموجِ البِحارِ
يبحثُ عن أُنْثى وحيدةٍ
زهرةٍ مُتَبرِّجَةٍ
أو ثدْيٍ هائجٍ ثَرْثارِ
يستعملُ سِحْرَهُ
ليَنْتِفَ بَتلاتِكِ الصِّغارِ
واحدةً تلو أخرى
يُدَنِّسُ جَمالَكِ
ويَتْرُكُكِ عاريةً كذكرى سيئةٍ

في حقائب الفُجَّارِ

حَوِّلي عينيكِ عنهُ واهْرُبي

أو هَيّئِ قلبَكِ للمأساةِ القادمةِ

من غَفْلةِ الانْبهار

سيدُ الأسماءِ

أنا لا أُغَنّي

ولكن أُعطيكِ دمى في الغِناءِ

فالحبُ سيدتي سيدُ الأسماءِ

أُنوثَةُ الحياةِ أنتِ

أَلْقَتْ بِدِفءِ حَريرِها

وعَبيرِها ورَفيفِها

على قلبٍ أَتْلَفَتْهُ ألاَعيبُ النِّساءِ

وللحبُ رَقْصَةٌ تَعْزِفُها

أوتارُ الأرضِ وأصابعُ السَّماءِ

لماذا يا سَليلةَ الجَمْرِ

تاهَتْ رسائلي

لم يكن بيني وبينكِ سوى

غُلالةٍ رقيقةٍ دافئةٍ

من أنْقَى هواءِ

حتى ذابَ فؤادي

وتَسامَيْتِ بِذَوْبِهِ فصارَ شُعاعاً

هائماً في الفضاءِ

ما أضيقَ الأبوابَ إليكِ

وما أوسعَ أحضانَ الفَناءِ

لماذا لا تسمعيني؟

دعـــــاء

إلهي...
يامَن تُغيثُ وتَسْمَعُ
إليكَ أجْثو وأضْرَعُ
تَحمى بلادي وتَمْنَعُ
فهي هوايا الأَرْفَعُ
وإليها أَهْفو وأرْجِعُ
إذا سَكَتُّ هَلَكْتُ
والحُبُ هَتْكُ
خيالُها في عيني
وإسْمُها في فَمي
وحَطَّتْها روحي
بين جِلدي وأَعْظُمي
رسَمْتُها رايةً
على مِعْصَمي
ووضَعْتُها غايةً

على مَنْسِمي

وعَلَّقْتُها آيةً

على مِيسَمي

النَّارُ تَسرى في الرِبوعِ

وتُسْرِعُ

تحتَ الرَمادِ وتَقْبَعُ

فما تُراني يا إلهي

إن فَقَدْتُها أصْنَعُ

النَّفيرُ في الوادي

يا ابنَ مِصرَ الفَادِي

يا أَزكَى نَبَاتِ الوادي

وطني عَلَيكَ يُنادي

من ذا الذي سَيُطْلِقُ النَّفيرَ الكبيرَ

في بِلادِي

أميرَتُكَ الجَليلَةُ تَنْتَظِر

وتَحمِلُ في صَمْتٍ

جراحَ الماضي

تتَنَفَّسُ الخوفَ وهاجسَ الفَنَاءِ

وفى صَوتِها المَكْبوتِ

يَمْتَزِجُ الحُزنُ بالكِبرِياءِ

في لَحنِها الشَّادِي

امنَحَها الأَمَلَ والصَّوتَ

وكهرباءَ الحياةِ

على سَريرِ الموتِ

يا سِرَّ أَمْجَادِي

هي مُؤمِنةٌ مُسَبِّحَةٌ

بِروحِها وعِظامِها

لرَبِّ النَّجمِ الوَقَّادِ

فخُذ تاريخَها المُعجِزةِ

وانْثُر بفَخرٍ عِطْرَهُ

على أرضِها ونَهرِها

لِيَرْتَوي الصَّادي

وإذا بِعِشقٍ خَدَشتَها

وجَدْتَها جميلةً

صابرةً أَصِيلَةً

تَرُدُ لكَ الجميلَ في وِدَادِ

اجعَلها قِبْلَتَكَ

جَدِّد مَجْدَها

وارفَع بِنَاءَها

فوقَ الرُبَي والنِّجَادِ

وانْشُر راياتِها فوقَ الزمنِ

فعندما تَرتَفع هامَتُك

ترتفعُ أعلامُها فوقَ المِحَنِ

وفوقَ كُلِ باغٍ وعَادِ

عَلَّمْتَها كيف تُحِبُك

فكانت مُحِقَةً في حُبِك

لأنك البَادِي

وكنْتَ دوماً عِنْدها

حيثُ يُرِيدُكَ قَلبُها

الشَاكِرُ الرَاضِي

في أولِ الصِفوفِ

لا تعرفُ الخَوفَ

شَبَهاً بأَوْتَادِ

في حَرْبِها الحادي

في سِلْمِها الهادي

هنيئاً لكَ حُبُّها

يا حِصنَها العالي

يا دِرْعَها الغالي

يا أزكى نباتِ الوادي

لماذا لا تَسْمَعِيني

القمرُ الليلةَ يَسْمَعُني
فلماذا لا تَسْمَعِيني
كفي حُزْناً
فالموتُ لا يَحْضُرُ سُرادِقاتِ العَزَاءِ
أَعرِفُ زَهْرَةً في الوادي
لا يعرِفُها غيري
لها بَتَلاتٌ بيضاءُ
وشمسٌ في قلبِها
أكثرُ جمالاً من نجمةِ الصباحِ
زَهْرَةُ النيلِ القويَّة
تَتَحَطمُ إذا حَرَمَتها الأيامُ
من الكبرياءِ
حَجَبَتْ وجهَها الكَتومَ
الخاليَ من الزَخارِفِ

بِوِشاحٍ من البَهاءِ

مَعبَدُها بِدَاخِلها

مَلْفوفٌ بِكُسْوَةٍ شريفةٍ

مُطَرَّزَةٍ بحروفٍ فِضِّيَّةٍ

بيدِّ ملائكةِ السماءِ

شَعرُها عنْبَريٌ

بِوسعِهِ إحضارَ لونَ النَّهارِ

وقتما يشاءُ

كيمياءٌ إلهيَّة

وعلى خُدودِها

بُودْرَةُ النِّيلِ تَطُوفُ

ويَغْشَاكَ في عينيها

البَرِيقُ النَّبيلُ

وكُحْلٌ من المَساءِ

على الجِفونِ خفيفُ

وفوقَ جَبهَتِها المُتعاليةِ تَستَريحُ

ياقوتَةُ الوفاءِ

وتَنْتَفِضُ كوبْراها الملكيَّة

ترتدي رِداءً من نسيجٍ فرعونيٍ

مُزَيَّناً بعيونِ الطواويسِ

تُبْرِقُ كأقراص العاجِ الذَهَبيَّة
عندما تَفرِدُ ذِيولَها في الشُموسِ
وثوبُها مُضَمَّخٌ بالقِرْفَةِ والمُرِّ
تجلس على عَرْشٍ من حَجَرِ اليَشْبِ
المُزَيَّنِ باللؤلؤِ الشرقي الحُرِّ
غداً سنرْقُصُ معاً على العُشْبِ
وسأَعْتَرِفُ لها بالسِّرِّ
وأَسْكُبُ كلماتِ العشقِ اللاذِعِ
في أُذُنَيها كالخَمْرِ
ملعونون العاشقون الذين
يَعْزِفون في البحرِ

الاخْتِيَار

وَالِغاً وَلَغان
فى المَيدانِ كان
كما الذِّئبِ يلْحَسُ خَطْمَهُ
من أثرِ الدماءِ
دُخانُهُ كآبةٌ
وكلماتُهُ دَكْناءُ
بَقَرَ بطْنَها وهى حامِلٌ
تَرْجُفُ الأشجارُ حولهُ
والهواءُ
سَحَائِبُهُ رِيحٌ مُكْفَهِرٌّ
انْقَطَعت أعناقُنا منهُ عَطَشاً
فامْنَحَنا ياربُ
شجاعةَ الأنهارِ
بلادى التى تُسافرُ
بين الحُلمِ والنَّهارِ
وخلفَ الوعودِ التى سَكَبَت

فى عروقِها
جَمْرَ الإنتظارِ
مَلِكَةُ البُكاءِ الأبدى
يُعذِّبُها الآن قسوةُ الاختيارِ
بين القيدِ الآمنِ الحانى
وبين وهمِ الأنتحارِ
وهى مُطرِقَةٌ تَبْكى
مَنْزُوعَةُ الوطنيَّةِ
تَنْعى الشُهداءَ وحَسْرَةَ الثوارِ
أشعرُ بالرياحِ على وجْنَتَيها
هوائُها يقتلنى
وينْدَلَقُ العذابُ المُرُّ من عيونِها
فى صمتٍ وانْحِدارِ
يحكُمُها الآن ذو البؤسِ
كَذوبُ الحنْجَرةِ بافتِخارِ
جُرثومةُ الخِلافِ
جارِحٌ قارِحٌ
يلْتَهبُ على رأسهِ
تاجٌ من نارِ
خَانَهُ فى حُكْمِهِ مُنَجِّمُهُ
غَرْسُ نِعْمَتِهِ وترابُ قَدَمِه
النَّاصحُ الفاضحُ ذوالعارِ

من لايعرفُ الحِشْمةَ السياسيةَ
ويدعو بالتَأبيدِ والتَخْليدِ
لأيامهِ الباقيةِ
لا يقَوِّضُها تَناسُخُ الشُموسِ
والأقمارِ
ومَضَت بلادى كعادتِها
على رصيفِ القرارِ
يائسةً مقهورةً
تَعْلُكها قسوةُ الانْكسارِ

القَتَلةُ يَتآخون

أَعرِفُ عن سِرِ جمالِكِ
بعضَ حكاياتٍ
وأَعرِفُ في أَوْتارِك ألحاناً
نامَت تنْتظرُ الكلماتِ
وأَعرِفُ في جَسَدِك أَبْواباً
لا يَصِلُ إليها يأسُ الصَرَخاتِ
وأَعرِفُ أن القَتَلةَ يتآخون
في الطَّعَنَاتِ
وأن تماثيلَ الزُعماءِ العمياءِ
ذاتَ الشَفَةِ الحَجَرِيَّةِ
تُقْرِئُكِ اللَّعْنَاتِ
وأن سَرابَ الصحراءِ الخادعِ
لا يحْتَمِلُ طيوراً
لكنّى أُبْصِرُ في الأُفقِ طيوراً

وزهوراً وفراشاتِ

وأَعرِفُ أيضاً لحناً مَحْمُوماً

يُنْذِرُ بالفَجْرِ

أَرْفَعُهُ لأعلى

كي يُعطينا القمرُ سيوفاً

بدلاً من خَدَرِ الأُغْنِيَّاتِ

وأَعرِفُ أنكِ لو أَدْنَيتِ جَبِينَكِ

من مَجْرَى النَّهرِ

لوَجَدْتِ ثَمّةَ وَجْهٍ يُشْبِهُنى

يُخْفِيهِ زَبَدُ المَوْجاتِ

يَبْحَثُ في صَدرِك عن رُكنٍ لي

يحْمِيني من كلِ الخَيْباتِ

فيا رَكْبَ الشُهداءِ النُّبلاءِ

توَجَّهوا

لمن مَنَحَكمُ الصبرَ على الموتِ

وتضَرَّعوا

لمن استخلصَ النّورَ من الظُّلِماتِ

مالِكِ الحقِّ القوى

فَيْضِ البركاتِ

أن يغْمُرَ سيدةَ التاريخِ الباكِيَّةَ بالرَّحَمَاتِ

أمطارٌ إثيوبية

يَعبُرُ النَّهْرُ جَزَائِرَهُ
من خَوْفٍ إلى خَوْفٍ
لِمائِه رائحةُ السماءِ
ولصوتِه خُطَىً خضراءُ
مارِقاً إلى المَجْهولِ
أو قافلاً صَوبَ القَبيلةِ
جُثَّةً تَمَّ التَنْكيلُ بها
يَنْزِفُ كالحُرِّيَّة
أكْثَرَ هَشاشَةً من الحُلُمِ
ومُتواضعاً كَعابِدٍ
لا يَجْلِسُ على بُرجِ كَنيسةٍ
أو مِئْذَنَةٍ
أمطارُه الآن صارت بَرْبَريَّة
من أَثْداءٍ إثيوبيةٍ هائجةٍ

وشِفاهٍ إفريقيةٍ عَصِيَّة

كأثداءٍ وجِرَاءِ

تُمْطِرُ داخلَ عَيني

تُكَدِّرُ لَحْمى

والوطنُ يُحَزِّمُ أمْتِعَتَه

ويولِجُ صَوتَه في دَمي

تَرَكَني في وَهْمي

وصارَ مَحْضَ أُمْنيَّةٍ

ثُمَّ دَكَّ فَمِي

وأنا سِلسِلةٌ طَويلةٌ من الصَرَخاتِ

سنواتٌ بلا كلماتٍ

كَبومَةٍ خَرْساءِ

لايُريدُ لِأنهارىَ أن تَتَدَفْقُ داخلي

ومياهِىَ الهاربةُ غاليةٌ

نَلْقاها كلَ عامٍ

في البُحَيْرةِ الأَمْهَرِيَّة

مع العَطَشِ الذي يَغْرَقُ في قاعِ النَّهرِ

سيكون هو المَاءُ الأُجَاجُ

وأنا وردةُ المِلْحِ النَقيَّة

سَوفَ يَحْمِلُني وسَوفَ أَشْرَبُهُ

كما الدواءِ المُرِّ

في سنواتىَ الشَّقيَّة

وعلى مِنْبَرِ التاريخِ

يأتي الكِبْرُ فيأتي الهَوانُ

خَيْباتٌ جَفَّفَها الزمانُ

وعند فَناءِ لَحْمي

سأَرى بلادي نَجْمةً عاجزةً

غَيْمَةً مُهاجِرَةً

شجرةً هَلَكَ زارِعوها

قصيدةً خائفةً من ظِلها

في دَهاليزِ الأَبْجَديَّة

عَروساً تَمَزَّقَت ثيابُها

ذراعاها مَسَلَّاتٌ انْحَنَت

وبَطْنُها دِلْتا تَمَلَّحَت

وفَخْذاها فَرْعَىْ هواءِ

وخَلْفَ كُلِ أُذُنٍ

بَحْران يَصْطَرِخانِ

وفى وجهِها تلوحُ راياتُ العِصْيانِ

وتَقْبِضُ يدُها على حُروبٍ عَبَثِيَّة

لكنَّ في قَلْبِها يَدُقُ حنيني

كنَخْلَةِ العاصفة

أُقاسِمُها سَريري

لأنها تَأْمُلُ أولَ النَّهارِ

ولا تيأسُ آخِرَهُ

وأنا كهذا النَّهْرِ

أَحَفَظُ اسْمَها حُلُماً

في أعَماقي الصافية

أَتَقَلَّدُهُ على عُنُقي

وأَكْتُبُهُ على لَوْحِ قلبي

كما الأَقْدارِ الأَزَليّة

مَلِكَةٌ ماخِض

ملِكَةَ المَخَاضِ الكَظِيمِ
عتِيقةَ الانْتظارِ
والتي ابْيَضَّت عَيْنَاها مِنَ الْحُزْنِ
لا تبحثي في النُّورِ عن الظُّلْمَة
واحفظي النُّطْفَة
عندما يَلُفُكِ عَنْكَبوتُ التَرَقُّبِ
فوق رُزْنامَةٍ هامِدَة
كأنها أَوْقَفَت في مِخاضِكِ الزمن
وتُصبحين أَيْقُونَةً
فَرَغَت منها المعجزة
وأَصابها الوَهَن
مَرْصودَةً للهَتْكِ
تَرْفَعين للشمسِ نَزِيفَكِ
ويصيرُ تأَمُلُ الوقتِ
لُعْبَتَكِ المُفَضَّلة

في هذا اليومِ الهائلِ

كثيرِ البلابِلِ

تأكدي من مجيءِ البَشيرِ

وسيرتدُ إليكِ البَصَرُ

لأن فَرْطَ الطَّاقةِ نذيرٌ

كَصَمْتِ البراكينِ والزلازلِ

فاتركي العلاماتِ تَكْتَمل

وبعدَ كُلِ تَقَلُّصٍ استريحي واستَجْمِعي قِواكِ

فكلما زادَ الألمُ زادَ الأمل

وإذا ماءُ الرأسِ انْفَجَر

تحركي لينْزَلِقَ الجَنينُ

فَجَسَدُك لن يخْدَعِكِ

في كلِ حِينٍ

سيعُطِيكِ الإشاراتِ بالألمْ

فلا تتسرعي في الدَّفعِ

وإلا انْفجرَ الرَّحِم

وعند المِخاضِ الزَّائفِ

لا تَشْعُري بالإحباطِ والضِّيقِ

كأنَّه خَفْقُ رِيحٍ في رَمادٍ

فالمَخَاضُ الجميلُ

سيكون على ذاتِ الطريقِ

وعندما تَغْفين بين التَقَلُّصاتِ

وتكون أحلامُك أقربُ للهَلْوَساتِ

كَرُعِبِ الأُنْثى من التِنّين

لا تتمنَّي الموتَ

أو التَّسمُّمَ المَعْنَوىَ اللَّعين

ودَعْكِ من ضَجيجِ السُكارى

وعِطرِ الغانياتِ

ولا تبحثي عن جِزعِ نَخلةٍ

فالولادةُ في غَمْرَةِ اليمِّ

أَيْسَرُ وأَتَمّ

ومن جسدِك يبدأُ الخَلْقُ

فالحُريةُ تُفْتَكُ بلا نَدَم

ومَهْرُها دَم

ولاهوتُها أَهَم

فهي للإبداعِ لَحْم

وقد جاء في الأَثَرِ

أنَّ بَقَرَةً خشبيَّةً

خضراءَ النَّهدِ

كانت تُجامِعُ ثوراً من حَجَر

فأَرْسَلَ اللهُ إليها ذُبابةً

لَزَمَتْها فأَضاعتْ رُشْدَها

وأَفْقَدَتها البَصَر

وعندما أَصابَنا منها الضَّجَر

صَرَخْنا

أَفَكُلَما خَلَوْتِ زَنَيْتِ

يا امرأةَ الغَجَر

أَرَاكِ مُتَعاجِبَةً مُتَباهيةً

كَصَدْرِ الغازيةِ

يكاد ينْفجر

ترفعُ سُرَّتَها إلى الأعلى

كي يُبارِكُ الإلهُ خُصُوبَتَها

ويزدادُ الثَّمَر

ثُمَّ اِنْبَرَتْ أَيّامُ قَهْرٍ

جَزَزْنا فيها مَقادِمَ رؤوسِنِا

ولم نَرْفعُ أصواتِنا مع مَوْتانا

من خَوفٍ وحَذَر

ولم يرْقَأْ لكِ فيها دمعٌ

وأنتِ موغِلةٌ في السَهَر

ويَخْتِمُ الزعيمُ خُبزَنا الأَثَري

بخاتَمِهِ العسكري

(كُلْ ضَرِيعاً وانْتَحِر)

ويمتنعُ الأنبياءُ عن البِشارةِ

ولا يبقَ إلا شاعرٌ يَحْتَضِر

وأثرُ الدماءِ التي سالت

من هامَةِ أَخيهِ

مَنْحوتَةً في الصَّخْرِ

حتى بَنَينا مسجداً في قَبْوٍ

لم يزلْ في سَجْدَةِ الخوفِ

ينْتَظر

والعاشقون المُتَيَّمُون

بدموعِ المساجدِ يَسْتَشْفون

في السَحَر

وهذا القائدُ الشَرِسُ

الذي نقْتَنيهِ

فقد إحدى عينيهِ

وسيخْتَتِمُ بموتِهِ

دائرةَ الخَطَر

هذا الذي يَبْذَخُ على الناسِ

ويفْتَخِر

وخرجَ في يومِ دُجْنَةٍ

يتَكَهنُ بالمِحْنَةِ

فارْتَجَفتْ في البلادِ ألفُ شمعةٌ

في مَهبِ الريحِ التي

لا تُبقى ولا تَذَر

وفى المدى طفلٌ جديدٌ

ناسكُ الحُبِ الأخيرِ

شاعرُ بلاطِكِ المُنْتَظَر

وعندها ستلدين النَّهر

وسيحيا في ملكوتِ المياهِ

وتستردين النَّقاءَ والطُّهْر

فيا ذات النَّهدِ العارمِ

صُبّى نَهْدَكِ في دنياه

واعطيهِ قُبْلَةَ البَوْحِ العَطِر

واخبريهِ

أنا التي حَمَلْتُكَ في الزمن

وبقي أسْمُكَ ينْتَظِرني

رغَم المِحَن

وكوني ذِئْبَتَهُ وأَرْضِعيهِ

فإنّ ذِئْبَةً في التاريخِ

أَسَّسَتْ وطَن

سمكةُ الرمالِ

كأنَّ ثورةً لم تَقُم

ولم يُراقُ دَم

وعادةُ السيفِ أن يَسْتَعبِدَ القَلَم

في قصتي طُولٌ

وأنتَ مَلولٌ

سمكةُ الرمالِ الخائفةُ

تسْتَعْصَمُ من القَيْظِ بالدَّفْنِ

كأنَّ الرملَ يَمّ

كان هناك وقتٌ للحُلُمِ

فجرٌ ينتظر

وزَفَراتُ نَجْم

للهِ ليلةٌ غَبراءُ ذاتُ جَناحٍ أحَمّ

نبا بي الوِسَادُ

فليلُنا مُتعِبٌ كدمعِ اليُتْم

سحابةُ نحسٍ

سَتَرتْ عينيها من الأَلَم

نَكَأ قَرْحًا على قَرْحٍ

حليفُ أسفٍ وقرينُ هَمّ

كأنما بين اليأسِ وبيننا

رَحِم

تَسَنَّمَ سريرَ الجلالةِ

وجلسَ على كرسيٍ مُجَنَّحٍ

يتَقَمَّطُ بثَوبِ الحُنُّو

وفى عينيهِ سُمّ

ثم خَتَرَ عَقدَهُ ونقضَ عَهدَهُ

وقَدَحَ زِنَادَ الفتْنَةِ

وحَشْو إهَابِهِ اللُّؤم

خفيفُ الرأسِ

يُنْكِرُ حُرمَةَ الثَّدي

لا أرحامَ بين الملوكِ وبين العَوامِ ذوي اللَّمَم

يُشاورُ النِّساءَ

يتمَسَحُ كالهِرَّةِ ويعضُ كالثَّغِم

نفخَ في بوقهِ

جِبايةَ الخَرَاجِ لأرزاقِ الجُنْدِ

وكان بينهما رَضَاعٌ

وسيفٌ وسَهم

أحْصِ الجماجمَ

واحْصِ المُخَنَّثين بالمدينةِ

ثمّ احْصِ بَنِى العَدَم

اِحْلِب الدَّرَ فإذا انْقَطَعَ

فاحْلِب الدَّم

شَفَّهُ الذُعرُ

إذا كان وزِيرُكَ ذا هَيْبَةٍ

يثبُ عليكَ فيَخْلَعَك

فلْتَصْرَعُهُ

أو تُنْكِحُهُ أو تُنْكِح إليهِ

فلا تَتْرُكُهُ حتى تحِيكَ له لُجُم

وإلا فإنَّكَ المَصْروعُ بلا نَدَم

يا أهلَ المُحَالِ

الحقوا برؤوسِ الجبالِ

من البحرِ المُرْتَطِم

تشبْسوا بجروحِكم

لم تُغْلَبُوا اليومَ من قِلَّةٍ

بل ذلك الأَمْرُ من سَقَم

بين ارحل وفوضناكَ

عُمرٌ من السَّأَم

شَغَبَ الجُنْدُ عليهِ

من ثَنِيَّاتِ النِّقَم

مُسْتَحْفَظَان

أخبروه أنَّ مصرَ
من قديمِ الزمانِ فِرْقَتانِ
وأنّ بينهما في الصَّدرِ وَحْشَةٌ
فانْجَمَعَ كلُ منهما في مكانِ
ومَملوكُهُ الواشي الفَتَّانُ
دسَّ إليه كلاماً
عن أبناءِ عُثمانِ
وذَكَرَ ما قالوه بينهم
في حالِ نشوتهم
وحَذَّرَهُ
بأنَّ ليسَ لهم أَمانُ
وإن أنت أَهْمَلْتَ أَمْرَهُم
استولوا على الزمانِ
فتَغَيَّرَ خاطِرُهُ

ورَاجَ عليه هذا البُهْتانُ

وعادَ إلى حالةِ الغَدِرِ الأُولى

وصارَ يُنَاكِدُهُم سِراً

وابْتَكَرَ مُشَاجَرَةً

وتَسَابُوا في الميدانِ

واتَّخَذَ له سِراجاً

من أَقْبَحِ خَلقِ اللهِ وأَظْلَمَهم

ورَخَّصَ له فيما يفعَلَهُ

ولا يَقْبَلُ فيه قولَ كائناً مَن كان

فَكَامَنوهم إلى الليلِ

ونَزَلَتِ البيارقُ والمدافعُ والعسكرُ

وارْتَجَّتْ مصرُ

وانْعَقَدَ الدُخَانُ

ووَقَعَت بينهم مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ

وكَبَسوا الجامعَ

وَرَمُوا عليهم في كلِ آنٍ

ولازمَ أَرْبابُ الدَّرَكِ الطَوافَ

والدَّيْدبانُ

وفَتائِلُ البُنْدُقِ مُشَعَلةٌ بالنيرانِ

ثمَّ أَجلَسَ أُمَراءَهُ وصَناجِقَهُ

في الإيوانِ

واستولوا على كُشُوفِيَّاتِ مصر

وصاروا أَتباعَهُ ومَساليكَهُ الكُبار

ومشايخَ البِلدانِ

كان أَصْلُهُ إسرائيلياً

ثمَّ ادَّعى الإيمانَ

وتحت حُكْمِهِ

لم تَسْتطِع رأسٌ وهو فائِتٌ

أن تُطِل من طاقَةٍ في البِيبانِ

لم يَقِف في طريقهِ أحدٌ

سواء كان خَيّالاً أو حَمَّاراً

أو عَيناً من الأَعْيانِ

وتلبَّسَ كُشوفيَّةَ المنوفيَّةِ

ثم التَجَأَ إلى وَجَاقِ المُسْتَحْفَظَانِ

الشهيرِ بابن طَلْسَقٍ الأُلْعُبَانِ

وأَصْلُهُ من مماليكِ ناصرٍ الشَجِيعِ

الذي أكلَ رؤوسَ الجميعِ

ولم يدَعَ الفرصةَ تفوت

فأَقْصَى كلَ ناصحٍ في خِدمةِ الأوطانِ

من كان حاسماً سَموحَ النَّفسِ

صَافىَ البَطْنِ والوجْدانِ
سواءَ كان لبيباً أو أديباً
أو كُلَ من أَمْسَكَ الميزان
ثم سارَ في النَّاسِ بالعَسْفِ والجُورِ
وقُضاةِ السلطانِ
حتى امتلأت حَواصِلُ المَحْكَمةِ
بالأَرُزّ والسَّمْنِ ولحمِ الضان
وحتى قام النَّشَنْجى
بخَنْقِ الروزنامْجى
فى قَرَه ميدان
لم يَنْجَ منهُ إلا
من دخلَ تحت بيارقِ العسكرِ
أو مات بالديارِ الروميّةِ
أو اختفى في مطبخِ الأزهرِ
أو هربَ عند التَتَرْخان
ثم حصَلَ له عِزٌ عظيمٌ
واسْتَكْثرَ من شِراءِ المماليكِ والخِصيان
وسَمَّتْهُ النساء حاني باشا الحَنَّان
وتَغافَلن عن مَساويهِ الخفيَّة
لأنه مَلَك البابَ على حينِ غفلةٍ

من الرَّعِيَّة

ثم لبسَ القُفطانَ

وأصبحَ يَعْسُوبَهمُ الهُمَامَ

نافذَ الكلمةِ وافرَ الرَّهْبَةِ

يتعاطى الأحكامَ كالبهلوانِ

وركبَ حُصَانَ سَيِّدِه

وفتحَ بيتَهُ وأَحْيا مَفاسِدَه

يُرْسِلُ لأهلِ خاصَتهِ المُقَرَّبين

ستينَ كُسْوةٍ ودراهمَ

تُفَرَّقُ على المُجاورين

وصَرَفَ على المقاتلين الحُلْوان

كِيساً من المِيرى

أو مالَ البُهارِ الثَّمينِ

ثم كَتَبَ قائمةً بالأسعارِ والموازينِ

وعَلَّمَ الباشا علي البَيانِ

لم يُراعِ معنا جميلاً

ولم يحفظ لنا صَنيعاً

وأَخَذَ يُنَقِّبُ النُّقوبَ

ويدَبِّرُ الحروبَ

وفى كلِ حِينٍ

ينْصِبُ الحَبائلَ

ويَحْفُرُ الغَوائلَ

ويَعْملُ فِخاخَ المَكايدِ

ويزْرَعُ شِباكَ المَصايدِ

في الأرْكَان

ونحن باللهِ نَسْتَعِين

من الطاعونِ المُسَمَّى بقاربِ شِيحَة

الذي أخَذَ المَليحَ والمَليحَة

وعَيَّنوا له تَجْرِيدَة

فَتَجَنْدَلَ من رجالهِ الكثيرُ

ولم يزل أميراً ومُتَكلِّماً في الهواءِ

فاستقبلَ غِلالَ الحَرَمَين

وأخَذَ في تَنْقِيَةِ الأحجارِ من الطريقِ

وتَسْبِيلِ الماءِ

وعَملَ أخشاباً مُرَكَّبَةً

على وجهِ النيلِ

يمشي عليها الناسُ للفُرْجَةِ

مُتَنَدِّرين

ونسى المالَ عند ابنِ المُبارَكِ المُغْتَصِب

نائبِ الباشا أبو شَنَب

الذي اختفى ببيتِ امرأةٍ دَلاَّلةٍ

ثم نَطَّ من القلعةِ إلى البيمارِسْتانِ

ومَكَثَ في منزلِهِ بطّالاً

إلى أن يُتَوَفّى

فيدْفِنوهُ بالقَرافَةِ

والإقليمُ في اطمئنانِ

وانْحَطَّتِ كلمةُ المُخلِصين

والذي جَمَعَهُ الحِمارُ أَكَلَهُ الحصَانُ

جزاءُ من يَقُصُّ جناحَهُ بيدَيهِ

ثم سَكَنَ الحالُ

وصَفا له الزمانُ

من أهلِ الشَرِ المُعْتَقَلين

صلاةُ الغَضَب

سيدي الزعيمُ المُلْتَهِب

لماذا كُلُ هذا الغَضَب

الحبُ عَرْضٌ وطَلَب

وأنا أَنْتَظِرُكَ في كُلِ يومٍ

لأَمْرَضَ بِكَ

بلا عَدْوَى أو سَبَب

يَدُكَ على عُنُقي قاتلةٌ

كَدُبٍّ وصاحبِهِ

وعادِتِهِ في اللَّعِب

فهل تَوَقَّفْتَ لحظةً كي تَرَى

بُكاءَ الشواطىءِ

وترى الأرضَ تَنْتَحِب

كيف جَرؤْتَ على إزعاجِ نَهْرِي

وتَلْويثِ ذَاكِرَتي

وطِلاءِ شَمسي

بِلَونِكِ الكَئِيبِ المُكْتَئِب

هذى صلاتي

بعد أن تناولتُ عَشَاءً من الدِّموعِ

لأجلِ أن أَحظَى

بحياةٍ مُقَولَبةٍ تُرْضِيكَ

خاليةً من الشَغَب

مالكَ وطريقِ بلادي

إنما مِثْلَكَ ومِثْلَها

كَتَائِهٍ اسْتَظَلَ بها

ثم هَرَب

أو كَقِردٍ عابثٍ يَدَّعي الأَدَب

على لوحةِ مفاتيحِ الحاسبِ كَتَب

فأَضَاعَ وطناً وأَيْأَسَ شَعباً

في يومِ نَحسٍ مُسْتَمِرٍ مُرْتَقَب

تهريبُ النُّطَف

أرْمَلَةٌ مُزَيَّفَةٌ حزينة
كلُ الأزهارِ كانت لها
ثَوبُها فى رِقَّتِهِ
كان كالبُخَارِ
ترتدي الآن جُمَّةً
من الشَعْرِ المُسْتَعَارِ
تَكَسَّرَت أَثْدَاؤها
وتَدَثَّرَت بِفِطرِ الزمانِ
وعَنْكَبوتِ الصَمتِ والنّسيانِ
في أحضانِ رَغْبَتِها ينامُ الثلجُ
لن ترى أغصانُها الوَرَقَ
كشجرةٍ صَعقَها البَرقُ
تَجَرَّدَت ذاتَ مَرّةٍ لِتَستَحِمَ
بشَحمِ النَّعامِ
فيابؤسها عارية
ارتَعَشَت أكتافُها

كأنها عُمْلَةٌ باليَة
لن تُعيدُها الأيام
تَبْكِي عُمْراً بلا هدفٍ
وليلاً بلا قرار
وأولَ طائرٍ ماتَ
على أغصانِ النَّهار
لاتَحْلو حِكَايَتُها الآن
في فمِ الصِغَار
تَبْحَثُ عن صوتِها الأَثِيرِ
لن تُحدِّث الناسَ بهِ
ستَجْعَلَهُ خَاتَماً
يَلْبَسُهُ صَمْتُها في الأُصبُعِ الصغيرِ
لأن حُزْنَها الدائمَ الصَّفِيرِ
يَذْرَعُ غُرْفَتَها وحيداً
يَسْتَعْمِلُ مَناشِفَها
يُقَلِّبُ أَيّامَها في بَلادَة
ويأكُلُ في مَطبَخِها المَهْجورِ
بشهيةٍ مُعتَادة
كان يأكلُ من يدِها
ويأكلُ الآن يَدَها
خَلَّدَتْها الجريمةُ الأَخِيرَة
كانت شُرْفَتُها مفتوحةً
على دماءٍ ساكنةٍ كَثِيرَة

ولم يُعْثَرُ لها على أَثَرٍ
سوى على سمكاتٍ مُتَشَنّجاتٍ تحْتَضِر
الدَّهَشُ يَصْطَرِعُ مع الذُعْرِ
بحثوا عنها في المقاهي
والمدافنِ والكنائسِ والمساجدِ
والمَيدانِ المُنْطَفِئ
ودمُها لا أبوابَ لهُ
في ليلِها المُنْكَفِئ
وَوَجَدُوا بسَرِيرِها قُفَّازاً مَيِّتاً
هل قَتَلها الشيخُ الذي
تمْتَدُ لِحيَتُه حتى البحر
والبحرُ مَحضُ زمن
ولحمُنا المُضئُ نَهر
والشكُ يَسْتَرِيحُ على النَّافذة
والسورُ الحزينُ مُثْقَلٌ بالعِقْبان
والوسادةُ دَنِسَة
ألْقَوْا نَرْدَهمُ الأَسْوَدَ الغضبان
وحَشْدٌ من الملائكةِ مُلَثَّمَةِ الوجوهِ
غارقةٍ في الأحزانِ
والشكُ لسانٌ طويلٌ من النارِ يَلْعَقَهم
وينْحَتُ أيامَهم بمِثْقَابِ صَوَّان
لكنّ حقيبةَ الحقيقةِ

تسْتَقِرُ في بئرٍ عميقة
ولم يستطع أَحَدٌ
أن يُهَرِّبَ نُطْفةً من زوجِها
الذي أَفْلَتَ من قَبرِهِ في المَنَام
وظلَ واقفاً حتى أحَالَهُ الموتُ
إلى رُخَام
لا تَقِفِ الآن عند قَبرِها لِتَبكي
هي ليستَ هنا
هي لم تَمُت فى الزِحام

وازدادوا حُلماً

لَبِثوا في حُلْمِهِمُ

تسعين عاماً

وازْدادوا حُلماً

تسعون عاماً

يَدُقّون بابَكِ المرْصودَ

بلا وَهَن

كلُ هذا الحبِ لكِ

وأنتِ لا هيةٌ

سَادِرَةٌ في الخطر

لقد يأَسَ المُغَنّى

وغادَرَهُ الشَّجَن

أَهُم فوقَ أَرْضِكِ

غريبٌ على سَفَر

أم هُم في سمائِك

سحابٌ بلا وطن

وازدادوا حُلماً

شعارُهم

قَصْعَةٌ عَصيَّة

وبَيْضَةٌ مَحْميَّة

ورايةٌ يطوفُ بها العُقابُ

فى زوايا الأرض

وفي قَلبِ السَّحابِ

وازدادوا حُلماً

طريقُهُمُ

عَرْشُ العَنْقاءِ المستحيلةِ

ينْصُبون قلوبَهمُ

في مَداخلِ المدينةِ

يبحثون عن البِطونِ المُسْتَكينَةِ

وازدادوا حلماً

سلاحُهُمُ

نفوسٌ لا تعرف التَّرَف

وإرادةٌ كالسيفِ

مَشْحوذَةٌ في فُرْنِ الشَّرَف

وازدادوا حلماً

فازدادوا أَلَماً

عِشْقُهُمُ عجيبٌ

زادَهُم صبراً

في الظِّلالِ رابضين

ينْتظرون فجراً

دُعائُهُمُ في الكتابِ لا يَخيب

يُرَدِّدون في يقينٍ

أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيب

قلمٌ زانٍ

ما أَرْهَبَ هذا المكان

والليلُ بعدُ طويلٌ

ولم يَفْرَغ في قلبي الكلامُ

والهواءُ في رئتي قَليلٌ

ومُخَيَّرٌ بين جَدْعٍ وخِصَاءِ

وظِلُ الموتِ على هُدْبي

فوَضَعْتُ سِكينَاً في حَلْقي

حتى أَضْمَنُ طولَ البَقاءِ

فقلمي زانٍ مُنذُ عُقودٍ

وعليهِ أربعةُ شُهودٍ

لأنه شَبْعانٌ هَواناً

وفيهِ عِرْقٌ من العَبيدِ

وغَلَبَ عليه الخَوفُ

من السَّيفِ المَرْصودِ

فسَقَطَ وَجْهُهُ في الصباحِ

وكَرِهَتْهُ ثيابُهُ في المساءِ

فصار يَكْتُبُ في بَلادَةٍ

على الرَّحِمِ النَّبيلِ

اَسْمَ الزعيمِ المُبَجَّلِ

حتى تَتِمُ الوِلادَة

لأن ثَوْرُهُ الفَريدُ يُسْتَفْحَل

يُلَقِّحُ ولا يَفْشَل

فَلِمَ يخْجَل

فهي عندهُ عَادَة

صَلِ واعْطِ أَخاكَ يُصَلّى

فهذا مَقامُ النِّفاقِ الجميلِ

وإماتَةِ الضَميرِ بالعِبادَة

المِهْنَةُ الحَسَنة

منذ أن انْقَضَ النَّسْرُ على الوادي

وَمَحا الأسْوَدُ والأحْمَرُ

قَلْبَ اللّونِ الأخْضَرِ

لونَ بلادي

لونَ النيلِ

لونَ النّوبةِ والسودانِ

لونَ التوراةِ ولونَ الأنْجيلِ

ولونَ القرآنِ

وزعامةُ وطني صارت

مِهْنَة حَسَنَة

كلُ المطلوبِ أن تَزْعُم

وفِقَ المَوهوم

ليسَ يَهُمُّ

صِحَةَ ماتَزْعُم

غَيِّر عَلَمَكَ ونَشيدَكَ

وفِقَ المزْعوم

سَيَقَعُ الناسُ في سِحْرِكَ

ظَمَأً للطاعةِ والعُبوديَّة

في البَدْءِ يُساعدُك الناسُ

يؤَسْطِرونَكَ

ويُغَذّونَكَ

كَرْهاً في الحُريَّة

لا مانع

لكن بعدَ قليلٍ أبْعِدْهُم

ثم اطْلِق أوهامَكَ

واترُكَها تَعْمَل

سَتُصْبِحُ فِكْراً وعَقيدة

ثم انْقلبَ عليهم

وكي تُصبحُ شَرْعِيَّاً

صَفْى حِسابَك معهم

ثم اعْلَم

كلُ زعيمٍ يَفْشَل

حتماً يَفْشَل

لا تقلق

وإذا عارَضَك الشعبُ

الجأ للسيفِ

كي تحفظَ عَرْشَك

الدولة عدوكَ

اقْتُلْها

ثم اخْتَر منها الأَفْضل

الحِمارُ كمُسْتَشارِ

والفيلُ للمشي فوقَ الجَدارِ

البَبَّغاءُ لحفظِ السِّرِ الدَّفِينِ

والبومُ للبُشْرى

والضُّفْدعُ للغِناءِ والتلحينِ

والذئبُ للأمانِ

وبعدها

نَم قَريرَ العَينِ

الشَّعْبُ الضَّرورَة

أيها الزعيمُ المُمَجَّد

والنَّجَمُ الوليدُ المُهَدْهَد

كيفما شئت تَمَدَّد

وتَأَكَّد

متى اشْتَهَرْتَ تَهَلْهَلْتَ

ومتى أَضَأتَ احْتَرَقتَ

فالرقصُ في زحامِ العَدَدِ

يُضَخِّمُ الوهمَ وحجمَ الجَسَدِ

أيها الزعيمُ الماجِدُ

وطائرُ النَّارِ الصَّاعِدُ

من رَمادِ البَلَد

تَبَلَّد

ثلاثون عِيدِ أَضْحي

وثلاثون عِيدِ قِيامَةٍ

لكي تَتِمَّ طقوسُ الزَّعامَةِ

ولا تُبالِ لأحَد

أيها الزعيمُ الضَّرورَة

ونورُ العيونِ الحاني

أسْأَلِ التاريخَ عنّا

وتأَمَّلِ الصُّورة

كُلُ حُكَامِنا ضرورة

وسجونِنا أيضاً ضرورة

ودَمُ أسْرانا ضرورة

وهزائِمُ شعبِنا دوماً ضرورة

ونَصْرُ عدونا حتماً ضرورة

وشعبُنا أيضاً لسوءِ طالعِكم

وسوءِ طالعِهِ ضرورة

فيا أيها الشعبُ الضَّرورة

زعيمُكُم هذا الضَّرورة

جاثمٌ في مَرَاثيكُم

محفورٌ في مآقيكُم

وأينما تُوَلْوا

فهو مُلاقيكُم

أيها الزَّعيمُ المَقْدورُ

جَرَتِ الدماءُ بحوراً

وأنتم سامِدون

أَلْهاكُمُ الزُّورُ

والبنكُ المَعْمورُ

والكُرْسي المَسْجورُ

وأنتم سامِدون

أيها الزَّعيمُ العظيمُ

غَنِّ لدَمِكَ القديمِ

دَمُّ هابيلِ صارخ

قُرْبانُكم مَرْدودٌ

وقُرْبانهم باذِخ

أيها الزعيمُ الفادي

مصيرُك في بلادي

كماسِكِ البَقَرةِ

ليَحْلِبُها ذَووك أُولى الإِرْبَةِ

جِنرالاتُ أمريكا وأوروبا

فيا أيها الدمُ المُسْتجيرُ

في ميادينِ المَنون

أَذِّن في العِيرِ

إنهم لسارقون

حدائقُ مصرَ المُعَلَّقَة

حدائقُ مصرَ المُعَلَّقَة

أُعْجوبَةُ الزمنِ

وشاهدةُ الشَّجَنِ

أشجارُها مُنَمَّقَة

هزيمةُ الزعيمِ المُلْهَمِ

هي نَكْسَةُ الجيشِ المُقْلِقَة

وثَغْرَةُ الرئيسِ المؤمنِ

هي نَزْوةُ الدولةِ المارِقَة

وبَلادَةُ الموظفِ الخاملِ

هي حكمةُ القائدِ المُعَتَّقَة

حدائقٌ مليئةٌ بالخُطَبِ المُحَنَّطَة

وأغاني الشئونِ المَعْنَويَّة

ومساحاتٍ للتصفيقِ مفتوحةٍ

لشعوبِنا العُشْبيَّة

وحشائشِ التَدْليسِ

لأن مينا هو نوحٌ

ومِصرايمَ هو ذاتهُ موريسِ

ودولةٌ رَخِيَّةٌ

تَسْكُنُ في خوذَةٍ أثَرِيَّة

وقِديسٍ رجيمٍ

بأقدامِ عِنْزَةٍ شيطانيَّة

والقمرُ المُراوغُ خائرُ القوىَ

خائفٌ من بُزوغِ الفَجْرِ

لأن الكَذِبَ في الحديقةِ

وجهةُ نَظَر

وفى مواجهةِ الخَطَرِ

كم إصابةٍ للرأسِ تَنْقُصُنا

كي نسْتعيدَ الذاكرة

ذاكرةَ التاريخِ المَقْموعةَ

من تَكْرارِ اغْتِصابِنا

بالنَّارِ والدَّمْ

فيا بلادي تَذَكَّري

واحفري في الزمن

أيامَ النِّعَمِ والنِّقَمْ

زيارة لحديقة الحيوان

تاريخُكَ القريبُ يا وطن

نقْرأْهُ في الحديقةِ

حديقةِ الغَرائِبِ في الزَّمن

فى عَرينٍ مَهيبٍ للأسدِ

زَأرَ مَرَّةً ثم اسْتَبَد

وعندما في ذُرْوةِ المَجْدِ انْهَزَم

هَمَد

وماتَ مِيْتةَ الحَسْرَةِ والكَمَد

في جُحْرٍ خادعٍ للثعلبِ

خَبيئةِ الكَذِب

احترفَ الصَّمتَ كي يهرب

وعندما في آخرِ الأمرِ غَلَب

وبدأ مع القِرَدَةِ اللَّعِب

ضُرِب

في كهفٍ آمنٍ للدُبِّ

نامَ طويلاً لا ينْقَلبْ

وعندما اهْتَزَأ

وبانت عوْرَتُهُ

انْسَحَبْ

في مُراحٍ مُؤقّتٍ للجَمَلِ

جُرْحنا الذي لن ينْدَمِل

حَلَّ بُرْهَةً لم تكتمل

وعندما اَئتَمَن

طُعِن

فلم يحْتَمِل

في سُكٍّ ضَيِّقٍ للعقربِ

كَمُنَ خبيثاً كي يَضْرِب

وعندما ضَرَب

فَقَدَ الذَنَب

كيف سيلْدَغُ نَفْسَهُ

عندما يرى النارَ حَولَهُ

ويفشلُ في الهَرَب

في آخرِ الحديقةِ

عندما اليأسُ اكتمل

تدعو الغَنَم

يا رب ضَبعٌ وذِئبٌ

ليسْلَمَ الحَمَل

عِطْرُ الدَّم

١- فوقَ عِطْرِ الدَّمِّ

لا تدفني شُهَدَائَكِ يا بلدَ الجِراحِ
لا تَهيلي على الدَمِ الغالي الترابَ
خَلّيهِ مَسْفوكاً
خَلّيهِ نَصلاً مُسْلطاً
على عُنقِ البُغاةِ
كي تخرج الشمسُ ثانيةً
وتُعْطي لنا
حُلمَ الصَّباحِ

٢- عند خَلْقِ الدَّمِّ

كانت أولُ طَعْنَةٍ في الأرضِ

فاخْتلطَ أولُ دمعٍ

بأولِ دَمْ

وظلَ أولُ أَبٍ

مِائَةَ عامٍ لا يبتسمْ

وتُكْملُ الأرضُ دورَتَها

ويعودُ قابيلُ

أخٌ وسِكْينٌ

قاتلٌ وقتيلُ

ليَخْلِطَ آخرَ دمعٍ

بآخرِ دَمْ

ويظلُ أولُ أَبٍ

مِائَةَ عامٍ

لا يبتسمْ

٣- عند ليلِ الدَّمِّ

مُحاصَرٌ بين الرصاصِ الأعمى

والعَوْسجِ القاتل

في جُثَّتي حَبَّةٌ

أَنْبَتَت سَبْعاً

في كل واحدةٍ

أَنْبَتَت مِائَةً

وكل سُنْبلةٍ تموتُ

ستملأُ الأرضَ طيراً

من أبابيلِ السَنابل

سِمَاطُ الحُزنِ

في زمنِ التَّلَعْثُمِ
الصَّمْتُ أَسْلَمُ
ولا شئَ أكِيد
فلا الصلاةُ خَلفَ عليٍّ أَتَّمُ
ولا طَعامُ مُعاويةِ الثَّرِيد
أيها السَّيدُ الشَّهيدُ
والعائدُ إلى قَبرِهِ وحيداً
أما زلتَ تعاني من ظمأٍ شديد
يا ابن التَوَهُجِ والوَميضِ
لماذا جِئتَ من نَبْعٍ نَقيٍّ.....
لماذا سِلْتَ عِطراً
في عَصَبِ الليالي
في وطنٍ قَعِيد؟
طاردٍ للعاشقين ومثوىً

للقاتلِ الطَّريد

وطنٍ استَرَدَ سَوطَهُ

وما اسْتَرَدَ قلبَهُ

وخَلَّفَ في وجهِ أحلامِنا

عَجْزَ التَّجاعيدِ

ظَلَلْتَ تُراوغُ اليأسَ وحدَكَ

حتى أتاكَ الخلاصُ

في اليومِ المَجيد

دُلَّني يا سيدي

على قبرِكَ الذى ضاعَ في الوطن

ودُلَّنى على نَعْشِكَ الوحيد

لا غُرْبَةَ اليومَ عليكَ

وامضِ في التاريخِ رمزاً ساطعاً

كالنَّجمِ في الأفقِ البعيدِ

وقل لمصر

ألا تتجَولَ في الطُّرُقاتِ ليلاً

فالموتُ فيها

بَاسِطٌ ذِرَاعَيهِ بِالْوَصِيدِ

والطُّغاةُ مُلثَّمون

في ملابسِ قاتمةٍ

وبأَيدِيهم مَقامِعُ من حديدٍ

نَكَحوها ولم يَبْنُوا بها

تَحْقيراً لها في الزمنِ البليد

وداعاً يا أحلامَنا المُغْوِيَّةَ

التي تُضيءُ وتَحْرِقُ

الأحرارَ وتُبْقى

على عِرْقِ العبيدِ

فمن ورائَكِ أيامُ صَبرٍ

في هذا الغَيْهَبِ البعيدِ

الصبرُ فيهنَّ زائفٌ

أَهْلَكَ أيامنا الباقياتِ

وخَنَقَ الشُريانَ وحبلَ الوريد

فيا أيها الذين اختبـؤوا

في نِعمةِ الغيابِ

صَلّوا صلاةَ الشَّهيدِ

إذا كنتمُ اليومَ أحياءً

أم اِنْتَهَى في خلاياكِمُ كلُ الرَّصِيد

حَدَقَةُ عينيهِ

ركبَ ذات ليلةٍ وكان ثَمِلاً
وأَقْسَمَ بالذَّاتِ العَلِيَّةِ
وفؤادُهُ يسيلُ من مُقْلَتَيهِ
بالدموعِ البَغِيَّة
بأن يجعلها سيدةً عَصْماءَ
لَم يسمعِ الناسُ لَها مِن قَبلُ سَمِيَّا
لأنَّ من يَمَسُّها
يَمَسُّ حَدَقةَ عينيهِ
فاسْتَبْشرت بقُدورِ اللَّحمِ
ونسِيَت سِياطَ العبوديَّة
وجَهِلَت أنَّ المَنَّ جروحُ الأشجارِ
فقامت تَرقصُ على الأَوْتَارِ
رقصةَ العبيدِ أمام البقرةِ الذهبيَّة
وعندما دنَّسَ لها سَريرَ الصباحِ

سَأَلَتْهُ بحقِ الأسعارِ الرَخيَّة

وأناقةِ البَهْرَجَةِ الهنْدَسيَّة

ووسادةِ الفقراءِ الحَجَرِيَّة

والإقاماتِ الوَثِيرةِ الجَبْرِيَّة

ورائحةِ النِّفَاقِ الذَكيَّة

والنِّكاحِ الميْمونِ للهُوِيَّة

في مواثيقِ الزواجِ الغَربيَّة

وبحقِ دَعَواتِها السَخِيَّةِ

بأن يجعل عينَ حاسِدِيهِ مائيَّةٍ

وأَعضائَهم تُرَابيَّة

أن يَصرِفَ عن مَخدَعِها المُسْتَبَاحِ

نَزَواتِه العَفيَّة

فنَظَرَ إليها بعدما ارتَوى

نظْرَةً دونيَّة

لها شَفْرةُ سِكِّينٍ

ونيرانُ تِنّينٍ

ومخالبُ وحشيَّة

فاختلطَ لَبَنُها بدَمِها

وأيْقَنَت أنها ضَحيَّة

حَصَلَت على موعدٍ مع السَرَابِ

وقد صارت لديهِ

أشواكاً في عينيهِ

ومَناخِسَ للمَطيَّة

وتَذَكرَت حِكمةَ القُدَماءِ الأَبديَّة

أنّ عَذاباتِكَ الحاليَّة

اِبْنَةُ الخطايا الأَوليَّة

المِيثاقُ المَنْكوث

ياقومُ إني امرؤٌ عندي خَبَر
من أقصى المدينةِ
وآياتٌ أُخَر
هذا ندائي
وهذى أرضى غافِلَةٌ
وسادرةٌ في الخَطَر
لئن هي فاتَتْني بما كُـنْتُ أَرْتَجى
وأَخْلَفَني فيها الذي كُـنْتُ أَنْتَظِر
فلا نَفْسُها إلى قَرارٍ
ولا خوفي عليها مُسْتَقِرّ
المَلِكَةُ النَّوَارُ
حَلّوا تِكَّتَها وسَمَحوا
ورَغَّبَوا فيها رِعاعَ البَشر
الموتى الآن يُبعَثون

يَفتَحون عيونَ الأحياءِ

على النُّذُر

رأسُ هذا الجَهولِ في التاجِ

إحدى العلاماتِ الكُبَر

كلامُهُ ينْبَجِسُ نِفاقاً

من رأسٍ قد سَكَر

شَعبُهُ لديهِ ذليلٌ

خُضَّعُ الرِقابِ

نواكِسُ البَصَر

يُجِيبون بالإِطْراقِ

وَرَمْيِ الأرضِ بالنَّظر

اللهو مع القانونِ الأعلى

المِيثاقِ المَنْكوثِ دوماً

جُرْحُها الصَّامتُ

عِرْقُها السَّاكنُ

نارٌ من سَقَر

خازنُ النارِ

«يا خازنَ النَّارِ
يا جامدَ القلبِ كالمُسْمَارِ
يا حارسَ أبوابِ الجحيمِ
وروحُهُ الوديعةُ
تُرَفْرِفُ في سماءِ النَّعيمِ
والشاهدُ على مِحْنِةِ الوجودِ
والمقيمُ السَّرْمَديُ على الأَلَمِ
يا أيُّها الملاكُ العابسُ
والمصابُ بالحُزنِ المُسْتَدِيمِ
نسأُلكَ المَرْحَمَة
مازلنا ماكثون
فهل حقَ علينا الوعيدُ؟
وقد اثْقَلَتْنا القيودُ
وذابت منَّا الجلودُ

أُناديكَ من جَوفِ التِنّين

داخلَ اللغزِ الذي نَسْعى لكَشْفِهِ

منذ سنين

مدفونون في المدينةِ التي

تُفَرِّقُ العاشقين

وتَدْفَعُهُم نحو العَدَمِ

ليس لدينا إلا الغضب

وأنْفاسُ الموتى

فهل سَنولَدُ من جَديدٍ

على ألسِنةِ اللَّهب

لا فرقَ لدينا

بين جحيمِ الفِرْدَوسِ

أو فِرْدَوسِ الجحيمِ

فَكُلُّهُ سَعيرُ

لأننا خالدون مع النَّدَم

وعلى بابِ الوَهمِ

لم نَزَل نَسْتَجِيرُ

أَطْعِمُونَا ماءً

فنحنُ مُنْهَكون

نجري على رُسومِ الليلِ والنهارِ

نُغنّى للشياطينِ التي

فَرَّت من النارِ

وحَمَلْنا صليبَنا وحدَنا

ولم نُصْلَبْ عليهِ

نحتاجُ الآن إلى مكانٍ بعيدٍ

نَنْهارُ فيهِ

مكانٍ مُظْلِمٍ بلا نجومٍ

وشمسُهُ بلا ضِياءِ

مِيْتَةً حمقاءَ مُزْرِيَّةً

كموتِ الشُعراءِ

فكيف يأتي المَطَرُ

من نَهرٍ نَهِمٍ

يبتلعُ أجسادَنا في الصباحِ

ويعجزُ عن دَفْنِنا في المساءِ

فأيُ مكانٍ يُرَابطُ السيفُ فيه

تَمْلَؤهُ الأشواكُ

ولن تُطَهِرُهُ اللِّحْيةُ والسِّواكُ

فحين تُنْثَرُ البُذورُ غَضَّةً

فإن البنادقَ تضطَرِب

وحين تَنْبُتُ البذورُ واعدةً

فإن الرصاصاتِ تقْتَرِب

وحين تَصْعَدُ السِيقانُ شامخةً

فإن الزَّعيمَ يرْتَعب

وحين تتَوهجُ السَّنابلُ مُثْقَلةً

فإن الفُوَّهاتِ تَصْطَخِب

فكيف نَضَعُ أكاليلَ الورودِ

على شواهدٍ نازفةٍ

وقبورٍ تنْتَحِب

مهداة إلى يحي حسين عبد الهادي

نَقِيُ الطَّلَّة

يا ابن نُذُورِنا
يا نَقِيَ الطَّلَّة
يا من جعلتَ الأَحلامَ من نَصيبِنا
أفض علينا من النَّقاءِ
وانْظرنا نَقتَبِسُ من يَقينِكَ قَطْرَة
يامن يحتمى بكَ طائرُ الكبرياءِ
ولا يَتَقَوَّتُ أبداً
بِعُشْبِ الإنْكِسار
الأرضُ غيرُ طاهرةٍ
والأنفاسُ غُبار
وأشجارُ المِلحِ مَوْطِنُكَ
كيف تَغيَّبتَ في الأَسْوار
وذئابُ الليلِ والراقصاتُ اللاتي
شَرِبَتْ أَثْداؤهُنَّ النَّبيذَ ذو الرَغْوةِ

لهنَّ الأمانُ
والمودةُ في القُرْبى
وخَيْرَاتُ الدَّار
أعذرني لأنني لم أَمُتْ إلا قليلاً!
والنارُ التي تَشْتَعلُ على الأرضِ
أَتُراها صَرخةُ هابيلِ
أم نارُ الإنْفِجار
حَلَفْتَ فَلَم تَأْثَم يَمينُكَ
فَقَلَبْتَ موائدَ السماسرةِ
وكراسيَ باعةِ الوهمِ
والفُجَّار
سؤالُكَ المَكْروهُ
أهو الإنسانُ أم التَّابوهُ؟
ومن يُحاكِمُ المُغْتَصَبَةَ؟
ويغُضُّ الطَرْفَ عن المُغْتَصِبِ الخَتّار
رأيتُكُ مُعلقاً بين لِصَّيْنِ
كَسَروا ساقَكَ وأَذاقوكَ الخَلَّ
ذو المَرار
آهٍ على الربيعِ الذي طار
سَيذوبُ ماجَمَعوهُ عند طلوعِ النَّهار

أيها النَّقيُ كيف تَتوبُ

وليس في حُبِكِ ذُنوبُ

ينايرُ النَّبيلُ قد اسْتَفاقَ من الغَفْوةِ

وأنتَ ثورة

والثوراتُ اسْتِثْناءٌ في المَسَار

وعندما أَزِفِ الرَحيلُ إلى مَقامِ مصرَ

أَلْحَقَتَ بي صَدْمَةَ الدُّوَار

لأن شيئاً صافياً من زَمَنِكَ الأَولِ

مازالَ مَكْنوناً لديكَ في قَرار

لا شبيهَ لهُ حتى في أَنْدَرِ الأَصْباغِ

واليَواقِيتِ والأَحجار

مُسْتَلْهَمٌ من لوتِسِ التَّجَدُدِ

وعودةِ الحياةِ للمدار

كنتَ تُحَلِّقُ منذ مَولدِكَ

ولم تَحُطَّ على أرضِكَ الجَرْداءِ إلا في اضْطِرَار

سِباحَتُكَ الأَبديَّةُ

في الفَراغاتِ العُلا تسْتَدِلُ بالغَريزَةِ

على أَنْبَلِ الأشجار

أشجارِ الحُريِّةِ المُشْتهاةِ

ورائحةِ الكرامةِ الذَّكيِّة

لا تَقْدِرُ على التِقاطِها حَواسٌ

إلا حاسةَ الأحرار

وحينَما تَوَجَّسْتَ الغيابَ

حَلَّ بكَ طَرَبٌ عظيمٌ

وزادَ حُسنُ صوتِكَ حتى أَماتَ السامعين

وربما أَبْهَمْتَ الأَنينَ

كَحَمْحَمَةِ الفَرَسِ الحزينِ

في الإِسَار

لقد اسْتَخْرَجْتَ وَجْدى

وسوفَ أَسْفَحُ دمعتي وحدي

في انْتظار

الموتُ أو النَّزيفُ

الموتُ أو النَّزيفُ

وُلِدَ في آنيةٍ من خَزَف
على التِّخُومِ الفاصلةِ
بين الحياةِ واليأسِ
في مدينةٍ لا يسْقُطُ عليها
شُعاعٌ من الشمسِ
لا ثوبَ لجَسَدِه
وليس لرأسهِ حَجَر
ينامُ في سَريرهِ الجُوعُ والخَدَر
والفقرُ فِعْلٌ فاضحٌ
قاتلٌ خَطَر
لم تَلِنْ الحياةُ يوماً لهُ
ولم يَعُد الإلهُ يتكلمُ مَعَهُ
فالسماءُ مُقْفَلَةُ البيبانِ
ولم تُرْسِلُ السماءُ لهُ شيئاً

سوى النَّزيفِ واللَوَبانِ

نزيفِ أسئلةٍ بلا إجابةٍ

لا شيءَ في صحراءِ السؤالِ

غير يقينِ العَطَشِ

وحِيرةِ الهَجْفَانِ

حيٌّ دون أنْفاسٍ

ومَيّتٌ بغيرِ أَكْفَانِ

قادمٌ إلينا من طفولتهِ الغابرةِ

كي يستَفزَ الموتَ

أُغنيةً لا نُريدُ سَمَاعَها

تَصُكُّ الوجوهَ ومُرْهَفَ الآذانِ

يبحثُ بعزمِ قِديسٍ عن الخَلاصِ

وتَواطأَ عليه السِّجنُ وشَراسَةُ السَّجانِ

يحملُ هاويتَهُ ويمشي

يمتطى ظَهرَ شَّيطانِ

خالقاً من خُطُواتِهِ أعداءً لهُ

وعلى جَبينهِ قِناعٌ خارقٌ

صارخُ العنوانِ

من لا يلحقُ بهذا الجنونِ

تجرِفُهُ سَطوةُ الطُوفانِ

ثم أَوَى إلى قُنَّبٍ حَنُونٍ
يعصِمُهُ من الوعي والهَذَيانِ
لم يسألَ أبداً عن نهايتِهِ
ستأتي في موعدِها
فالموتُ مغروسٌ في الشُّريانِ
أَلْقَوْا بهِ في عَرْضِ الطريقِ
ظنّوا أنّهُ بعضُ جُثْمانِ
وأن جَسَدَهُ قد تَحَللَ
أفسَدهُ المكانُ وقسوةُ الزمانِ
وتَجَمَّدت في عينيهِ نظرةُ خوفٍ
كأنها تعانقُ جحيماً
ليس في الحُسبانِ
وخيطٌ حزينٌ من دمِهِ المَشَاعِ
يَنْسابُ من فَمٍ ظمآنِ
ولم يهدأ حتى تَسَلَمَتِ الأرضُ
جميعَ اعضَائهِ
كمُخَصِّبَاتٍ لليأسِ والحرمانِ
لا ندعو له إلى الأرضِ عَودَةً
ونَضرَعُ إلى السماءِ
أن تَحفظَ روحَهُ المُحْتَرِقةَ

وديعةً في الجِنانِ

وهي تصعدُ هاربةً

إلى عَالَمٍ مُصَفي

من شوائبِ المكانِ

وعلى جُثَّتِهِ ستنْمُو زهرةٌ

تَسيلُ منها دمعتانِ

كدموعِ الخَشْخاشِ الذَّائبةِ

في مَتاهاتِ المَظَانِ

الوَصيَّةُ المَنْسيَّة

المِنْبَرُ خطيرٌ والحُلْمُ فَطِيرٌ
والوقتُ وقتُ فِتْنَة
هَبَطَ من المِئذنةِ المَلْويَّةِ
وصَعَدَ المِنْبَرَ
واليومُ يومُ جُمْعَة
مُتَّشِحاً بِعَباءتِهِ النَّبَويَّةِ
ليُعْلِن حُلمَهُ الأَثيرَ
الوَصِيَّةَ المَنْسيَّة
فَهَوَيْتُ بعيني على عُنُقِهِ وقَبَّلْتُه
كان هناك من الخيالِ سَرابٌ
يُعْطيهِ سِحْرَه
ثم وقفَ فوقَ شَعْبِهِ
كما الأحلام
وعليه مُسوحٌ وتَرابٌ

وأثرٌ من صيامِ

قَرْناهُ قَرْنُ وَعْلٍ ينْطَحُ بهما خِرافَ الإذعانِ

وقال أنا جِدِّكُمُ الأعلى

أَأَلِفْتُمُ النَّومَ بعد الأَذانِ؟

أَرَضِيتُمُ بعد العِزِّ بالهَوانِ؟

وقامَ بِذَبْحِ الطاووسِ المَلِكِ

على جَبَلِ سنجارِ

الذي احْتَكَّت بهِ سفينةُ نوحٍ

أثناءَ الفِرارِ

وَصَلَّي تحت كلِ شجرةٍ خضراءِ

وطَمَّ ينابيعَ الكَفَرَةِ

واحرقَ عظامَ السَّحَرَةِ

والمُبَوِّقون يبَوِّقون

في الهواءِ

كان ذلك زمانًا فردوسيًّاً

لكنَّ ضَياعَ أرضِهِ

جَرَّدَهُ من بَريقِه

فكان الموتُ به حفيًّاً

يتربصُ لهُ في طريقِه

يتَنَفَّسُ تحت عَباءتِهِ

فمات ولم تَكْتَحل عينُهُ بالأحلامِ

وذَهَبَت نَضارَتَهُ

ولم يَشْبع من الأيامِ

فَرَّ داخلَ حُلْمِهِ المَسْدودِ

فَتَنَ عليهِ عَبيدُهُ في السِّرِّ

وقَتَلَهُ الذين خرجوا من أحْشَائِه

دُروعُهُ كانت سُتْرَةٌ ناسفةٌ ولحمُ أبنائِه

خَانَهُ طَلْسَمُ حِمْضِهِ اللَّدُودِ

المَدْسوسُ في دِمائِه

وكَلْبٌ أمريكيٌ قَتَّالُ

وَرَموا بقايا العَباءةِ في البحرِ

ولأن الخَيْباتِ هي السماءُ التي

يبكي أَسْفَلها الرجالُ

أنا أيضاً بَكَيْتُ

ثم نَفَضْتُ حِجْري من الأَحلامِ

وَبِخِزْيِ الوَجهِ رَجَعْتُ

غَزَّةُ وأَبو مِنْجَل

«التقط أنْفاسَكَ أيُّها القَنَّاصُ
ولا تضغط الآن على زِنادِ الرَّهْبِ
العائمِ على ماءِ التَّرَقُّبِ والتَّعَبِ
فمازالت أَرْانَبُ العربِ
في وضْعِ من يَهِمُّ بالهَرَب
وحانةُ الوطَنِ المَخْمورِ
كُحولٌ وهَباءٌ وصَخَب
سَيُطْبَخُ اتفاقُ هُدْنَةٍ
فلا تخشى تَشَقُّقَ الأرضِ بالغَضَب
هواءُ العواصمِ الآن بِخيرٍ
في المَمَراتِ الضَيِّقةِ لأحلامِنا
بلا سبب
وكلُ من صَرَخَ في المَدى
يتَحَمَلُ تُهْمَةَ الصَّدى

اَطْلِق ضِحْكَتَكَ في أُذُنِ الهَرَج

مُجَنْزَرَةٌ أو مَجْزَرَةٌ جديدةٌ

لا حَرَج

سِلسلةُ غاراتٍ أو سِلسلةُ نَكَباتٍ

لا حَرَج

أَسْفَرَتِ المواجهاتُ أو أسفرتِ الخِياناتُ

لا حَرَج

وَقْفُ اغتيالاتٍ أو وَقْفُ حياةٍ

لا حَرَج

استشهادُ ستةٍ برعايةِ العَطَن

ثلاثةُ أطفالٍ وسَكَن

أو خمسةُ أَشْلاءٍ وجَنينٍ ووطن

لا حَرَج

طالما لمَ يَسْأل أَحَدٌ

لماذا يُقَوِّسُ الجِسْرُ ظَهْرَهُ في الهواءِ

وطالما لم يَنْهر أَحَدٌ

الكلابَ التي تنْبَحُ على أحلامِنا

في الخَفاءِ

وطالما لم يَنْدَهِش أَحَدٌ

لماذا تأتي قصائدُ الحِدادِ

بكاملِ أناقَتِها

في سُرادقاتِ العَزاءِ

وطالما أن كلَ ما يهُمُنا

سِرُّ أبو مِنْجَلٍ المُحَنَّطِ

قُرْباناً لآلهةِ الهُرَاء

قتلةُ الأنْبياءِ

من يشتري ثَوْبَ العَنَاءِ

واسْتِتاري بالغَباءِ

واخْتِبائي وراء خَبَلي

مغلوباً على عَقْلي

مُنْكَسَرَ الجِبَاه

هَبِلَتْني أحزانُ الهَبُولِ

إذا لم أَصْدَع بهذا القولِ

نعم يا سيدَ الدُعَاة

هُمُ قَتَلَةُ الأنبياءِ

وعُبَّادُ العِجْلِ

ومُحرِّفوا التَّوراة

وهُمُ شَعبُ عَصِيٌّ

صُلْبُ الرَّقَبَةِ

جَاهَدَ مع الله

لكنَّهُ بالدموعِ والتَّوْبةِ

اخْتارَهُ اللهُ وارْتَضاه

وسَمِعَ أَنِينَهُ واقْتَناه

ومَنَّ عليهِ بالعِتْقِ العجيبِ

واجتَباه

ومَنَحَهُ فى التّيهِ لَوْحَيّ شهادةٍ

مَنْحُوتةٍ فى الحَجَرِ

بأُصْبُعِ الإله

مَنَارةً من ذَهَبٍ نَقيٍّ

ابْتَكَرَهُ موسى القَوِيُّ

وقادَهُ وهَدَاه

ومَشَى به آمناً في البحرِ

في وسَطِ المياه

وطَرَحَ نَبْتَةً في الماءِ فَصارَ عَذْباً

فسقى شَعْبَهُ ورَواه

وهو شَعبُ العَهْدِ والسَّبْيِ أيضاً

والمَحَارِقِ والمَذابِحِ

والأَسباطِ الضائعةِ

وعَذاباتِ الشَّتاتِ المُرِّ

في مَسْرَاه

أصبح الآن شَعباً مُلْهِماً

فريداً في رُؤاه

نُسْخَةَ العَالَمِ بأَسْرِهِ

وبَوْتَقَةَ الطَّيفِ الحانِيةِ

بألوانهِ الساطعةِ في سَمَاه

فَرَاشَةً دَؤوباً تُسابِقُنا

وتهزأُ من خُطانا السُلُحْفاة

بيَدِهِ اليومَ حياكةُ الدنيا

من فوق رُبَى التاريخِ وذُراه

يُحَدِّثُ النَّبْتةَ

يُجنِّدُ النَّحلَ

يُغازلُ القمرَ

يُروِّضُ الأَثيرَ ويرعاه

في مداراتِ الطَّاقةِ الكبرى

والنَّوَاة

من يهْزِمُ الآن شعباً كهذا

ويتحدى حُلْمَهُ وخُطاه

دَعوهُ يُبْدِعُ

دعوه يسمو

دعوه يخْتَرِعُ الحياة

دعوه يَسبِرُ العِلْمَ الحديثَ لِمُنْتَهاه

هو بالعَزِمِ والحَزمِ

شَكْلُ القضاءِ والقَدَرِ

لتَذْليلِ أَشَدَّ جيادِنا شُموساً

وأوهامَ الطُّغَاة

نَصْلُهُ الحادُّ لسانهُ البليغُ

وَلُغَتُهُ التى أَخْرَسَتْ كلَ الشِفاه

سهامُهُ مَعْصومَةٌ من الخطأِ

إذا صُوِّبت في كلِ إتجاه

وكفانا ما نحن فيه

في دنيا الهُواة

من اِمْتِشَاقِ فُحولتِنا

واجْتِرَارِ عُشَبَ عَقيدَتِنا

وتَغْلِيظِ البَاه

وهَرْولةِ التَطْبيعِ الخَفيّةِ

والعُريِ المُرصَّعِ بجواهرِ النَّفطِ المُشْتهاة

حتى قَنَعْنا بِوَضعِ بَقائِنا أَحْشاءً

في أَوانينا الكانوبيَّةِ

على قَيدِ الحياة

وَحْدَهُ الغُرابُ يعْرِفُ طَريقَهُ

ويَحْفُرُ عند الموتِ مَثْواه

أُمَّةٌ عاشت حتى الثُّمالةِ

تعيشُ هاجسَ الفَناءِ دوماً

كما تتَرَقْبُ الذَّبْحَ الشِياه

لابأسَ عندي طالما

في مَسْبحتي خَرَزٌ كَافٍ

ليمحو آثامَ الخُطاة

المِنْبَر

الواعظُ الأَشْهَرُ

شَرْعيُ المَظْهَر

كَثُّ اللِّحْيَةِ

وعريضُ الجُثَّةِ

وعظيمُ المَنْظَر

تَنَحْنَحَ ثُمَّ شَمَّر

ثُمَّ بَسْمَلَ ثُمَّ حَوْقَلَ ثُمَ كَبَّر

ثُمَّ ذَبَحَني مُسْتَقبِلاً القِبلَةَ

في يومِ الجُمْعةِ

تحت المِنْبَر

وضَرَبَ الجُثْمانَ الآثمَ

ببقايا البقرةِ كي يَطْهُر

وسقاني من الجحيمِ

كل ما تَذَكَّر

من مُهْلٍ وغَسَّاقٍ وحميمِ
ثم اسْتَعْدى عَلَيَّ بدون جُرْمٍ
ملائكةَ اللهِ الكَتَبَة
لأني لم أمْكُثْ منذ صلاةِ الفجرِ
لحضورِ الخُطْبة
وأَنى ملعونٌ محرومٌ
لن تُقبل قُرُباتي
بَدَنَة كانت أو بقرة
أو حتى كَبْشاً أو بَيْضة
وأَجَّلَني ثلاثاً كي لا أَعودُ
كما وُعِدَت لِمَهْلِكِها ثَمودُ
وقرأَ المأثوراتِ المُهْتَرِئاتِ
في رَقٍّ من جِلدِ غزالٍ
بعِظاتٍ وعِبَرْ
ثم أفاضَ علينا كالبركانِ
في سَوءاتِ الشِمالِ
وفضائلِ أن أُبْغِضَ يُسْرايَ
كيداً في الشيطانِ
وأَخَذَ يُحَذِّر
من مَسَّ حَصَاةَ المسجدِ

أو حَيّا بركوعٍ وسجودِ

والواعظُ يخْطُب

قد يخْسَر

ومن يمشى إلينا ولا يَرْكَبُ

قد يظْفَر

ومن أنْكرَ في القبرِ عذاباً

قد يكْفُر

فالموتُ قريبٌ آتٍ

وقبل مُضى اللَّحظةِ

قد يُقْبَر

وحُبُ مَلَذَّاتِ الدنيا

فِعلٌ مذمومٌ

وجزاءٌ أبْتَر

ماذا أفعلُ

وأنا مَجْبولٌ أَعْسَر

شيخٌ فانٍ

أَمَّنْتُ على دَعواتِ الواعظِ

للهِ لكي يغْفِر

ولم أَتَخَطَّ رِقاباً

لكن عن أثرِ الخُطبةِ لا أَذْكُر

ولم أُخْلَقُ كي أَرْعى قطيعاً

من إبِلٍ أو غَنَمٍ أو أَبْقُر

لو كان رسولُ اللهِ غليظَ القلبِ

لكانت أَراوحُ النّاسِ

من ذلك تَنْفُر

غُلامٌ وأحلامٌ

أضاءَ الصُّبحُ

فإذا هو حُلْمٌ

وإذا صاحبُ البلادِ

واقفٌ عند النَّهرِ

في رؤىَ الليلِ

مَلْفوحاً بالريحِ الشرقيةِ

وكان الهِزالُ يأكلُ الجَمَالَ

فانْزَعَجَتْ نفسُهُ

وعَجَزَ السِّحرُ

حتى جاءهُ غُلامٌ

ورَوْحُ اللهِ معهُ

فأصبح مُثْمِرَاً في الأرضِ

وعالجَ الشَّبعَ والسَّغب

فوضعَ صاحبُ المَقامِ

في عُنُقِه طَوْقاً من ذهب
وألْبَسَهُ خاتَمَ الأحلامِ
وعندما خَوَّرتِ الأرضُ
صارَ هناك قمحٌ كرملِ البحرِ
ثم جاؤوهُ فأفزعهم
وتكلم بجفاءٍ معهم
جواسيسٌ أنتم
لِتَرُوا عَورةَ الأرضِ جِئْتُم
لقد وجَدْنا الطَّاسَ في عِدْلهِ
وكلُ راعى غَنَمٍ مثلكم
رِجْسٌ وشَرّ
فاقسموا أنهم عَبيدُهُ الأُمَناءُ
فحَنَّت أحشائُهُ لهم
وطلبَ مكاناً ليبكيَ فيهِ
وأطلقَ صوتَهُ بالبُكاءِ
ثم غسلَ وَجْهَهُ وتَجَلَّد
ووقعَ على عُنقِ أخيهِ وتَنَهَد
ووضعَ يدَهُ تحت فَخْذِ أبيهِ
واقسمَ وتَعَهَد
لكي يُضْجِعُهُ هناكَ

ويباركَ له بنيهِ

ولأنّ عينيهِ ثَقُلَتْ من الشَّيخوخةِ

أَمْسَكَ يديهِ

ليس هكذا

ضِعْ يمينَكَ على رأسهِ يا أبي

هذا هو البِكْرُ

ولكن قُضِيَ الأَمْرُ

وقبل المَمَاتِ

خَلَّفَ وَرائَهُ النُّبوءاتِ

وما يُصيبُهم في آخرِ الأيامِ

ماءٌ فائرٌ

والآتُ ظُلمٍ

ويَدٌ على قَفَا الأعداءِ

وجَرْو أسدٍ

وساكنُ بَحْرٍ

وحِمارٌ جَسيمٌ

وحيَّةٌ على الطريقِ

وأُفْعوانٌ على السَّبيلِ

وأَيّلةٌ مُسيَّبةٌ

وخُبزٌ سَمينٌ

وغُصنُ شجرةٍ مُثْمِرَةٍ

بركاتُ الثَّديين والرَّحِم

وذئبٌ يفترس

ثم حَنَّطوهُ أربعين يوماً

وبَكوهُ سَبعيناً

وعندما مَضَت أيامُ بُكائِهِ

أصْعَدوا عِظامَهُ

ودفَنوهُ في مَغارةٍ

وصُنعَوا لهُ مَناحةً ثقيلة

أما الغُلامُ فصارَ لهُ أَحْفادٌ كثيرة

وُلِدوا على رُكْبَتيهِ الكَلِيلَة

وعند المَوتِ

حنَّطوا أحلامَهُ الكبيرةَ

ودفنوهُ في تابوت

نبذة عن الشاعر

- من مواليد القاهرة
- حاصل على بكالوريوس التجارة ودبلوم الدراسات العليا في العلوم المصرفية من جامعة عين شمس
- عمل بالبنك الأهلي المصري وترقى حتى أصبح مديراً عاماً ومستشاراً لبعض قطاعاته
- عمل كرئيس لمجلس إدارة إحدى شركات البنك
- نُشرت بعض قصائده في جرائد الأهرام والأخبار وأخبار الأدب وبعض منتديات الشعر
- صدر له ديوان «لا شيء يا سمراء» عام ٢٠١٨ عن دار ملتقى المعرفة وشارك به فى معرض القاهرة الدولي للكتاب لعام ٢٠١٨ وبعض المعارض الأخرى خارج مصر
- حصل على دبلوم الجدارة فى مسابقة «ماريو بيوندو» للشعر عن عام ٢٠١٨ من أكاديمية الفنانين فى نابولي بإيطاليا بعد ترجمة قصائده للإيطالية
- حصل على جائزة الشرف الدولية في الشعر للأدباء المسلمين لعام ٢٠١٩ من أكاديمية الفنانين في نابولي بإيطاليا

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

غزل قديم ٧

غزلٌ قديم ٩

كبرياء ١٢

خيولُ الذُّنُوبِ ١٤

حَجَرُ الكَلِمة ١٧

ذَوَيْ غرام ٢٠

خُرافَة ٢٢

سيدُ الأسماءِ ٢٤

دعـــــاء ٢٨

النَّفيرُ في الوادي ٣٠

لماذا لا تَسْمَعِيني ٣٣

الاخْتِيَار ٣٦

القَتَلَةُ يَتآخون ٣٩

أمطارٌ إثيوبية ٤١

مَلِكَةٌ ماخِض ٤٥

سمكةُ الرمالِ ٥١

مُسْتَحْفَظَان ٥٥

صلاةُ الغَضَب ٦٢

تهريبُ النُّطَف ٦٤

وازدادوا حُلماً ٦٨
قلمٌ زانٍ ٧١
المِهْنَةُ الحَسَنة ٧٣
الشَّعْبُ الضَّرورَة ٧٦
حدائقُ مصرَ المُعَلَّقَة ٧٩
زيارة لحديقة الحيوان ٨١
عِطْرُ الدَّم ٨٤
سِمَاطُ الحُزنِ ٨٧
حَدَقَةُ عينيهِ ٩٠
المِيثاقُ المَنْكوث ٩٣
خازنُ النارِ ٩٥
نَقِيُ الطَّلَّة ٩٩
الموتُ أو النَّزيفُ ١٠٥
الوَصيَّةُ المَنْسيَّة ١٠٩
غَزَّةُ وأَبو مِنْجَل ١١٢
قتلةُ الأنْبياءِ ١١٥
المِنْبَر ١٢٠
غُلامٌ وأحلامٌ ١٢٤
نبذة عن الشاعر ١٢٨